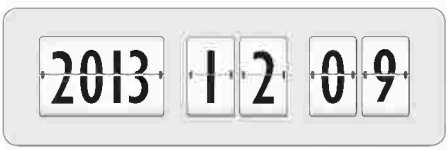

بعد أن نسف بل حلمنا المشترك، اعتقدنا كلانا بأنه لن يفوز بشيء، وبتنا بالغي الاكتئاب، شعرت كما لو كنت موشكة حتى على فقدان هويتي بوصفي سيدة آركنسو الأولى. لحسن الطالع لم يكن الجميع يرون ما كنت أراه. ذات يوم كنت أزور أحد المتاحف بواشنطن، وأنا أفكر بأن أحدًا لن يعرف من أكون إذا لم أكن أنا نفسي أعرف من أنا، وباستطاعتي أن أتلاشى بلا اسم غارقة في الأعمال الفنية، فجأة اقتربت مني سيدة وقالت: «تشبهين هيلاري كلنتون».

أجبتها: «ذلك هو ما يقال لي».

مسكونًا بالسأم والقلق، عاكفًا على تأمل حطام أحلامه الضائعة أدمن بل عمليًّا إهمال حاكميته. صار يلوذ بملذاته، ما أدى إلى جعل حماقاته الزوجية أكثر تكرارًا وافتضاحًا. حاولت تجاهل الشائعات متأكدة من كوني حبه الحقيقي، ومتصورة في اللحظات الأكثر صفاء أن كل شيء يخفف من بؤسه كان مسموحًا به في هذه المدة البائسة من حياتينا.

وأهم عشيقاته: جنيفر فلورز، طفت على السطح في هذه الأيام، ملتمسة الشهرة بادعاء امتلاك قصة غرامية طويلة مع حاكم ولاية. أُدرج اسمها في

قائمة عشيقات مرفقة بشكوى مرفوعة عام 1990م لإبعاد بل عن السباق الرئاسي. هبت بتسي رايت لنجدة بل وأجبرت فلوزر على الخروج من البلدة، رفضت بلباقة أن تكشف لنا عن الأسلوب الذي اعتمدته، غير أن معرفة أنه كان ناجحًا كانت كافية، على الرغم من أن اسم جنيفر فلورز لطخ سمعة بل لاحقًا ولسنوات عديدة قادمة.

رغم صعوبة تحمل علاقاته الغرامية، فإن ما هو أسوأ كان على الطريق؛ كنت على الدوام أعرف أن بل كان يحبني، وأن سلسلة محطاته التي لم تكن تدوم في الغالب سوى ليلة واحدة لم تكن ذات معنى عاطفي بالنسبة إليه، ثم ما لبث بل أن دخل في علاقة غرامية مختلفة عن سائر علاقاته الأخرى وسحق روحي: وقع بل في حب امرأة أخرى.

وكأنها أحست بحمى، رفعت هيلاري يدها إلى جبينها، نظرت إلى يدها وفوجئت إذ لم تجد أثرًا للعرق عليها.

هزت برأسها في يأس وتابعت: كانت مطلقة طويلة القامة، ناحلة، شقراء في نحو سني تدعى مارلين جو دنتون جنكنز، متمتعة بصوت جميل لامرأة من إحدى البلدات الجنوبية الصغيرة، رأيتها أولًا حاضرة في استقبالات بل وحملاته جميعها لجمع التبرعات، وتساءلت لبعض الوقت عما كانت تفعله في تلك المناسبات. لم يكن اكتشاف السبب صعبًا لمعرفتي بعادات بل، استطعت الحصول على سجل اتصالات بل الهاتفية، ووجدت عددًا لا يصدق من الاتصالات اليومية بالرقم غير المدون نفسه.

ما آلمني أكثر من كل شيء هو أنه في اليوم نفسه الذي أجرى فيه مكالمة وجيزة لمدة ثلاث دقائق معي، كان قد تحدث مع مارلين في الساعة الواحدة ظهرًا مدة أربع وتسعين دقيقة بالتمام والكمال! شكا لشرطي موثوق يدعى داني فيرجيسون من صعوبة أن يكون المرء عاشقًا اثنتين؛ ربما كان الأمر صعبًا بالنسبة إلى بل، غير أني أؤكد لك أن الوضع لم يكن بالسوء الذي كانه بالنسبة

إلي. سألت داني عما كان جاذبًا فيها بالنسبة إلى بل برأيه، أفاد الشرطي من دون تردد بكلام من قبيل «ما من أحد إلا ويريد شيئًا من بل». ثم تجرأ وأضاف: «أنت سألتيني، وسأخبرك، حتى أنت بالذات تريدين شيئًا منه؛ أنت تريدينه أن يكون رئيسًا للجمهورية، من الواضح أن مارلين لا تريد شيئًا سوى صحبته، يبدو أن بل يبتهج حين يُحَب لشخصه لا لأي شيء آخر». تمامًا ما كنت بحاجة إلى سماعه؛ وقوع بل في حب امرأة أخرى ناجم عن خطأ اقترفته أنا! غرقت في بحر من الكآبة، بقيت في سرير الكآبة أسبوعًا.

بل إنسان مزاجي، نادرًا ما يدلق علي حبه بسخاء، هو غير متوافر عاطفيًّا -بالفعل- معظم الوقت، ويعيش على تملق الحملات والعلاقات الطارئة. حين كنت أثور غضبًا منه كما حصل إبان قصة جنكنز، كان يظهر لي بعض الدفء والحميمية، وفي مثل هذه الأوقات يمنحني أيضًا مكاسب سياسية، معينًا إياي في أي منصب أريده، متمتعة أنا بما أطلق عليها أنا اسم قابلية غير عادية؛ أعرف كيف أميز ما هو شخصي عن الأهداف طويلة الأمد، قادرة أنا أن أكون هائمة بحبه والمبادرة بعد ذلك إلى فصل ذلك في غضون ساعات قليلة، على الدوام بلا استثناء أنتهي واثقة من حبي له على الرغم من سلوكه.

وإذ ذاك استطعت أن أعرض على بل ما لا يمكن لأي امرأة أخرى أن تعرضه؛ استطعت تحييد جملة المخالفات والانتهاكات التي حالت دون دخوله السباق الرئاسي، غير أن الشيء الوحيد الذي لم أكن مستعدة لغفرانه هو حفاظ بل على أي علاقة متواصلة ذات معنى مع امرأة أخرى، أبلغته بوجوب التخلي عن مارلين وبإدراك مدى حاجته الماسة إلي، وإلا فليس أمامه إلا الطلاق، وإذا وافق، نستطيع أن نكرس نفسينا للزواج وللإمساك برئاسة الجمهورية، فقبل شروطي، ووعد بالعمل على تصويب سلوكه. التزمنا بصون علاقتنا وإنقاذ زواجنا. وتلك كانت نهاية قصة مارلين جو دنتون جنكنز، بمقدار ما أعلم على أي حال.